

مقالات المركز المدني 2



سلطة الزامل



أحمد عباس الملجمي

https://civil-center.net
editor@civil-center.net
almadniyemen
civil.center.ye
781 809 069

سُلطة الزّامل في المجتمع اليمني

تأتي هذه المقالة في محاولة لمعالجة إشكال سلطة الزّامل، وذلك لما يمثله الزّامل من سلطةٍ اجتماعيةٍ في المخيالِ الشّعبي اليمني، كيف أثّر في توجيه التفاعلات الاجتماعية والسياسية ونظرتها نحو الكثير من القضايا اليمنية، وكيف أن "الزّامل" يمثل انعكاسًا للوعي الجماعي وقيم المجتمع اليمني وخاصة داخل المجتمعات القبلية، وكيف تحول الزّامل من فنّ شعبيٍ ووعاءٍ حاملٍ للقيم الاجتماعية القبلية ومعبرٍ عن حياتها اليومية إلى أداة للتعبئة الأيديولوجية والدعاية السياسية للتحشيد وعسكرة المجتمع وتوجيهه، وكيف أيقض الحوثيون فنّ الزّوامل الشّعبية وحولوها إلى فنّ وظيفي في التّحشيد للحرب وأخرجوها من عزلتها القبلية بهدف توجيه الحوار المحلي والسيطرة عليه.

استهلال مفاهيمي.

يُسمى الزّامل (زاملًا) لكثرة الأصوات التي تُردده وجمعهُ(زوامل)، وقائل الزّامل يُسمى (البدّاع) [1]، وهو – أي الزّامل – عبارة عن ثلاثة إلى أربعة أبيات من الشعر الشّعبي النبطي باللهجة الشّعبية الدّارِجة يرددها المُتزمّلون – أي من ينشدون الزّامل – مُقسمين إلى صفوف تُردد أبيات الزّامل بالمُناوبة بيتاً بعد الآخر، ويأخذ المُرددون للزّامل أبياته بالتلقين والحفظ، ولكي يُحفظ الزّامل ويتردد صداه في العشيرة، يُشترط فيه مشافهة أن يكون معبّرًا عن الحدث الذي استدعى التحرك؛ لكي يستثير مشاعر الجموع نحو ذلك الحدث، وهو كشعر أقربُ لأن يُمثّل إيقاعًا للقول المنظوم المُعبّر عن الحالة الحركية التي تتسمُ بالمُشاركة لأكثر من شخص، فهو يَصَدُر من مرسلٍ ليُحدث ردة فعل لدى المستقبل، مُحدثًا أثرًا وتحولًا عمليًا لدى الجماعة، وبهذا يملكُ الزّامل صِفَة الإيقاعية المُلازمة لمُناسبة القول وحال القائل، فالإيحاء الحركي يكون له حُضورًا دلاليًا واضحًا على حال القائل، والزّامل في أصلِهِ اللُغوي مفردة مشتقة من زَمَل بمعنى (رافق) وتعني المُصاحبة أو المُرافقة، بسبب نمط أدائه الذي يستندُ إلى أصوات مترافقة، وفي البيّان والتّبيين للجاحظ "الزّامل": الذي يتبع غيره ويأتي رديفًا له[2]، والزّامل من الدواب: الذي

---

[1] عبدالله البردّوني، **فنون الأدب الشعبي في اليمن**، (بيروت: دار البارودي، ط5، 1998)، ص 135.

[2] الجاحظ، **البيان والتّبيين**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي – مطبعة المدني، ط7، ج1،1998)، ص30.

يعدو سريعًا نشطًا"[3]، والزامل قد يكون لفظ جاء من المُزامل (الزميل) "وزاملت الرجل صادقته، وزاملته أيضا رافقته على الزاملة"[4].

والحديثُ عن نشأة الزّامل في المُجتمع اليمني أمرٌ غير ذي جدوى خصوصًا ونحن نتناول ثقافة تَغلبُ عليها المُشافهة، وما أورده البردّوني من سردية حول نشأة الزّامل أن قبائلًا هربت في عهد (دُقيانوس) إلى كهف من هجوم المعتدي، وبينما تلك الجموع في الكهف سمعت (الجنَ) تُردد زاملاً في إثر حرب نشبت فيما بينها وهو ما ولّدَ لدى القبائل الحماسة والخروج لملاقاة العدو[5] –هو أمر مرده إلى الخرافة فلا مجال أن يكون هذا الفنّ الشّعبي قادم من عالم الجن– ولكن برأيي أن التضاريس والجغرافيا اليمنية تُفسر لنا نشأة هذا اللون من الفنّ، بوصفها – أي الجغرافيا – أداةٌ تفسيرية يمكنها أن تُفسر الكثير من الثقافة الشفهية اليمنية، بل إن الثقافة الشفهية اليمنية وليدة الجغرافيا والتضاريس اليمنية.

الزّامل وجه الحياة بصوت الإنسان اليمني.

بوصف المجتمع اليمني الأول مجتمعًا زراعيًا، والزراعة من شكلت تعاونياته (تجمعه الأول واستقراره ونشوء دولته وحضارته وانهيارهما. فإن نشأة الزّامل مردها روح العمل الجماعي في الزراعة، أهازيج مواسم الحصاد والعمل في الحقول أو ما يسمى بـ(بالهجلة)، فهي عمل جماعي يتطلب النشاط والحركة ووقع كلمات تلك الهجلة ولحنها يتناسب مع الحالة الحركية التي يتطلبها العمل في الزراعة، والموروث الشفهي اليمني يعج بالمئات من تلك الأهازيج والهجل في شتى مناطق اليمن، تجد تلك الروح الجماعية تتأرجح في حروف شخصية (ابن زايد)[6]، في الموروث الثقافي الشفهي لأنه من بيئة زراعية، ولذا نراهم يبذرون جماعات، ويحصدون جماعات ويغنون جماعات ويلعبون صفوفاً ويغتربون جماعات، وهذا برأي "البردوني" بفعل الجغرافيا والبيئة الشاقة التي تنتزع الرغيف من التراب، وتستنبت الحبات بحبات عرق الجبين فنّظام التعاون مفروض بفعل الحياة.

---

[3] جمال حسن، **زوامل الحوثيين في الحرب: أول المعركة وآخرها**، **العربي الجديد**، موقع الكتروني، 18 فبراير 2018.
http://surl.li/qiyvl

[4] عباس العقاد، **الفصول**، (مؤسسة هنداوي، 2014)، ص42.

[5] عبدالله البردّوني، مرجع سابق، ص 137.

[6] هناك دراسات بارزة تناولت أقوال وشخصية (بن زايد) من أهمها: دراسة عبدالله البردّوني الموسومة بـ **أقوال علي بن زايد: دراسة ونصوص**، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، 2006)، كذلك دراسة لنفس المؤلف بعنوان: **الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل يمنية**، (صنعاء: مؤسسة العفيف الثقافية، 1996).

من الزراعة تحول ذلك (الهَجَلُ) إلى (الزَّمَلُ)، والزّامل كما أسلفنّا هو الآخر عمل جماعي يُعبّر عن فنّ شعبي، وفي تطور المجتمعات وانتقالها من طور اجتماعي إلى آخر نعلم أن الزراعة سابقة لتصورات الجمال والفنّ والأدب، فَمِنْ هزجُ العمل في الحقول والوديان انتقلت الصور اللفظية والجمالية مُشكلة الزّامل، بل إنه يمكن للمُدقق في كلمات تلك الزّوامل أن يلاحظ أن ألفاظها لا تخرج بعيدًا عن بيئة الزراعة، ذلك قبل أن يتحول الزّامل إلى أطواره السياسية التي ترافقت مع الحالة الصراعية التي استمرت لقرون ولازالت حتى اللحظة.

وأغراض الزّامل تتعددُ بتعدد وسائل الحياة وأحداثها وتقلباتها، وهو لا شك كما يرى البردوني "فنّ من صُنع التجمُع ومن إبداع روح الجماعة"[7]، وبرأيي تنسجمُ طقوس الزّامل مع روح المجتمعات القبلية وبُنيتها الاجتماعية، فالقبيلة هي بُنيات اجتماعية تؤدي أعمالها وفق مبدأ التعاون الجماعي، الزّامل هو (التزمّال) في جماعة، فهو ليس منفصلًا وغريبًا عن نسقه القبلي، بل جزءًا من روحها وهو لسانها ورأيها الجماعي وصوتها المسموع وموروثها الشفهي الذي يُدوّن بطولاتها وشجاعتها وقيمها، فتجد الزّامل حاضرًا في السلم والحرب، وفي طوارق الأحداث والفواجع المحمولة على الصدفة، وفي المناسبات والاستقبال والوداع والمفاخرة، كما تجده منبرًا حُرًا معبّرًا ومعززًا للقيم النبيلة السامية في التعايش، وفي نجدة الملهوف والانتصار للمظلوم، وأداة لتدوين الحوادث الزمنية العابرة ومجريات الصراعات القبلية.

الزّامل... سلطة اللفظ وإيقاع الحركة ووعاء القيم:

للزّامل سلطة متجذرة في المخيال الشّعبي اليمني، ففي القديم كان الزّامل في الأساس "جزءًا من التّقليد اليمني، وكانت أبياته المُلحّنة تُلقى للترحيب بالضيوف أو لمديحهم، أو لاسترضاء الخصوم في مواقف التراضي خصوصًا بين القبائل"[8]، وهو كفنّ يستنطقُ الحال بكونه ضربًا أو لونًا من ألوان الشعر الشّعبي اليمني– في أصله – وأكثر أجناسها حضورًا، وهو نوعٌ من الرجَز الشعري؛ لذا يرى شاعر اليمن الكبير عبدالله البردّوني أن "الزّامل نوعٌ من أنواع الأدب الشّعبي، وهو من يوميات الحياة الجارية يختلط فيها وجه الحياة بصوت الإنسان، وهو من أبرز أجناس

---

(7) عبدالله البردّوني، مرجع سابق، ص 146.

(8) سامي أبو المجد، تقرير "**باب خلفي**" **الزامل: تراث يمني سخره الحوثيون في التحشيد لجبهات القتال**، صحيفة الاستقلال، موقع الكتروني، 29ديسمبر 2020. http://surl.li/qjbic

الأدب الشّعبي اليمني، وفي الثقافة الشّعبية اليمنية ينظر إليه كفنّ وأدبٍ راقٍ، وملكة يحظى أصحابها بتقدير اجتماعي كبير"[9].

امتلك الزّامل سلطته كونه يكتنز الدلالات والألفاظ التي تُداعبُ حس النّخوة والرجولة في الذهن والمخيال القبلي الحامل لقيم الشجاعة والشرف والكرم والبسالة والتضحية، فهو صوت وسوط للقبيلة يُسكت الأعداء من القبائل الأخرى، ويُلهب قلوب أفراد القبيلة ويُثير في نفوسهم الحميّة وتلبية نداء القبيلة إذا قُرعت طُبول الحرب، فالزّوامل الحربية التي تستدعي التحرك السريع للقبيلة تبدأ بحرف النّداء، لأن النّداء برأي البردّوني "يتوخى الإنصات لبث الترويع ويستفز الأسماع"[10]، والزّامل مضياف القبيلة ولسانها الذي يُعبّر عن جودها وكرمها، وهو صوت العقل الذي يدعو إلى السّلم وتحكيم العُرف والصلح، وهو صوت المجادلة والمناظرة والتحدي الذي يشفي صدور أبناء القبيلة في ساحات السِجال الشّعبية، وهو صوت الطلب الذي يصدح برجاء القبيلة وتوسلاتها لحماية أفرادها حينما يقعون في العيب والخطأ الذي يستدعي التوسل وطلب العفو.

الزّامل في الثقافة الشّعبية اليمنية سلاح ذو حدين؛ فقد يكون مفتاحًا للتسامح والتصافي في أكثر المشاكل الاجتماعية تعقيدًا، إذ يُعزز برسالة الإنصاف والامتثال للحق وهو بمثابة إرضاء للعاطفة الجمعية والغُبن القبلي الذي قد يحصل لدى أحد طرفي الخصام، وقد يكون مشعلًا لفتيل حروب الثأر التي تبدأ بالكلمة ولا تنتهي إلا بالرصاصة.

ففي الحرب تجد الزّامل منبراً لشحذ همم الرجال وإشعال عزائم البسالة والصمود للذّود عن حق القبيلة والوطن والجاه، فهو لسان القبيلة الذي يعلن الحرب أو يسكته وهو رفيق الذخائر والخناجر إن استدعى الأمر، ظل الزّامل يحمل ويراكم هذه الدلالات اللفظية حتى غدت له سُلطة في المخيال القبلي تفصل في الكثير من الخلافات في المجتمع القبلي، بل صار مرجعية في حلّ الكثير من القضايا القبلية. فيمكن لزاملٍ من الشعر ذو بلاغة ووقعٍ على ذهنية المجتمع القبلي، أن يحل قضية استعصى على الناس حلها منذُ سنين. وفي هذا السياق يذكر الباحث الأنثروبولوجي "ستيف كاتون" في تحليله للصراع القبلي في شرق صنعاء إلى أن الزّامل وسيلة للتفاوض بين القبائل المتنازعة، باعتباره فعلًا كلاميًا، تفرز به الكيانات الاجتماعية هوياتها

[9] عبدالله البردّوني، مرجع سابق، ص 149.

[10] عبدالله البردّوني، مرجع سابق، ص142.

الخاصة في أربعة عناصر: اللغة، ومهارة الشكل الشعري، و"الحُجّة"، و"الشخصية (المُتكلم)" في محاولاته استثارة عاطفة جمهوره[11].

وقد طالعت العديد من التسجيلات وسمعت وشاهدت زوامل عديدة، محاولًا الحفر في عمق هذه الظاهرة التي لم تجد نصيبها الحق من الدراسة الاجتماعية ذات العمق البحثي والسويّة المنهجية، وقد حاولت في متابعتي هذه أن أجد وأستشف عوامل سلطتها وتجذرها في البنية الاجتماعية اليمنية، وقد وصلت إلى مجموعة عوامل أسردها فيما يأتي:

أولًا: الزّامل كان ربيب الحركة، بمعنى أن الزّامل يُردد بمعية الحركة (الرقصة) ففي الشمال كان يؤدى بمعية ما يسمى برقصة (البرع)، والأمر كذلك في المناطق الوسطى والجنوبية، إذ يتقسم المتزملون صفوفًا قد يصلون فيها إلى أربعين رجلًا، يقطعون المسافات من قرية إلى أخرى وهم يرددون أكثر من زامل حتى يصلوا وجهتهم، وهكذا كانت تفعل الجيوش ما قبل الحكم الجمهوري، تظل تنشد الزّوامل مؤدية رقصة الحرب على وقع بلاغة كلمات الزّوامل وهي بمثابة التوجيه المعنوي لتلك الجيوش.

ثانيًا: أن المتزملين يؤدون الزّامل بمعية تلك الرقصة وهم يتقلدون الجنبية (الخِنجر) اليمني والسلاح (البندقية) على الأكتاف وشريطًا من الذخيرة ينعقد على وسط الفرد منهم، والعمامة اليمنية فوق الرأس، كانت هذه الصورة ذات وقع بالغ الأهمية في ذهنية شباب القبيلة، فهي تصنع صورة ومعيارًا ومثالًا ورمزية لمفهوم الرجولة والنّخوة والشهامة التي يطمح إليها أفراد القبيلة ويرونها جليّة في هذا المشهد. ولأن الزّامل كما أسلفنّا كان يأتي رديف حدثٍ مّا يهُز القبيلة أو يستدعي تحركها أو معبّرًا عن موقفها من قضية مّا أو ترحيبها وفخرها بشيءٍ مّا، فإن فرد القبيلة ينظر إلى أبيات الزّامل وقوافيه كوعاءٍ وحاملٍ لشرف القبيلة وروحها الجماعية، فهو كمثل المحفز الذي حينما يلامس مخيال الفرد يستدعي كل تلك الصور الذهنية واللفظية مشعلاً روح الحماسة والتضحية والعقل الجمعي دون أن يترك لعقل الفرد أي فرصة للمراجعة والتقييم والتفكير. وفي هذا السياق يرى المستشرق الألماني "هانز هولفرتيز" في كتابه "اليمن من الباب الخلفي" إلى أن أهل اليمن يعتقدون بأن مجرد إنشاد هذا النّشيد الذي يُسمى "زامل" فذلك كفيل ببث الفزع في

(11) Charles Schmitz, **Understanding the Role of Tribes in Yemen** (West Point: Combating Terrorism Center, vol 4, Issue 10, 2011) P 17-20.



قلوب الأعداء، إذ يمتزج الإيقاع الصّاخب والحادّ للزّامل، باحتدام القوة اللفظية في كلماته، ليهيج في سامعيه الحماسة والحميّة"[12].

ثالثًا: أن البناء الشعري للزّامل (القافية) رغم أنها لا تخرج من بحور الشعر المتعارف عليها، إلا أن ميزة موازين الزّامل كفنّ وشعر شعبّي تمحورت حول أكثر البحور يُسرَاً وقصراً لارتباطه بالحالة الحركية سريعة الإيقاع لمناسبة القول ودلالته على عمق مشاعر(البدَّاع) والمجاميع المردّدة من حوله، حيث تؤدى أبيات الزّامل الشّعبي صفوفاً ومجاميعا. يُعتبر الزّامل لوناً جبلّياً سريع الإيقاع كأنّما يُعبّر من خلال ذلك وبتلقائية عما تفرضها الحركة من أعلى إلى أسفل، من تسارع في الخطو، وهو – أي الزّامل – يجسد فكرة واضحة ومتكاملة موضوعياً من خلال بيتين أو بضعة أبيات أحياناً بأقل عدد ممكن من المفردات، إضافة إلى أنه لا يشترط في قائل الزّامل العلم والدراية بالقراءة والكتابة ومن هنا تأتي سهولته على القائل والمتلقي، بضعة أبيات باللهجة العامية تنسجم مع الحالة الارتجالية التي يتصف بها مجتمع القبيلة يتلقفها القوم ويتغنون بها بصورة جماعية لتحفيز الهمم وإثارة الحماسة، يرى الباحث (نزار العبادي) "أن الزّامل توغل في خصوصية الفرد إلى ذلك المستوى، لا بد أن يكون مفعماً بالقيم والمثل الأخلاقية والأدبية ليكون قادراً على معايشة كل ظروف بيئته ، وعناصر جريان الحياة فيها"[13].

رابعًا: أن الزّامل يستخدم أبسط الألفاظ وأقربها إلى الحياة اليومية للمجتمع، بل إنه ببراعة تنسجم ألفاظه مع النظرة الكلية في المخيال القبلي نحو نظرتها للحياة والزهد فيها مقابل العيش بكرامة وشهامة، تنسجم تلك الألفاظ مع الوضع الاجتماعي والاقتصادي وحالة الفقر وما تعكسه من تذمر من الحياة والإحساس بأن الدنيا غير عادلة وأنها داراً لا تساوي شيئاً، ألفاظ لا تهاب الموت بل تطلبه، ألفاظ انبثقت من الجهاز المفاهيمي والمخزون اللّغوي الذي شكلته وقولبته الحياة الشاقة والتعيسة والتضاريس الذي وجد الإنسان اليمني نفسه معها وجها لوجه في حالة صراعية مستمرة.

خامسًا: أنه على المستوى الشّعبي ينظر إلى الزّامل بوصفه إنتاجاً يمنياً خالصاً يُعبّر عن الهوية الثقافية الأصيلة، لوناً فنياً تتصل عراقته بعراقة القبيلة اليمنية، "ارتبط بمضامين قبلية صرفة

---

(12) سامي أبو المجد، مرجع سابق، نقلاً عن: هانز هولفرتيز، **اليمن من الباب الخلفي**، ترجمة: خيري حمَّاد، (بيروت: دار العودة، 1986).

(13) نزار العبادي، الزوامل: **دُرر الزمن من فنون اليمن**، المؤتمر نت، موقع الكتروني، 5 فبراير 2005. http://surl.li/qiyuz

لتعزيز أواصرها وتمجيد عرفها"[14]، ووفقاً لتحليل باحثة الأنثروبولوجيا الأمريكية "إميلي سومنر" لهذه الممارسة الشّعبية أن ارتباطها بحياة الشخص قائم على أنساق ثلاثة: الأول أنها ممارسة قومية متعلقة بانتمائه، والثاني أنها شكل ثقافي متناسب معُ بنيته الثقافية، والثالث أنها قوة عاطفية فاعلة، في تحفيزه على الانخراط في التعاطي الاجتماعي الكلي مع الأحداث والغايات والمخاطر القادمة. وبرأي "نزار العبادي" أن ارتباط الزّامل بالأفق الحياتية الاجتماعية المختلفة يعني تجذّره في الضمير الإنساني البشري، وتوغّله في الخصوصيات الفردية بالقدر الذي يجعله جزءاً من عرف مجتمع القبيلة في اليمن وتقاليدها، وطقوسها – وربما من نسيجها اليومي أيضاً[15].

الزّامل من حامل لقيم القبيلة إلى حامل إيديولوجي التحشيد السياسي والعسكري

عطفاً على ما سبق، ألمحنا إلى ما يمثله الزّامل من سلطة على مستوى العقل الفردي والجمعي لمجتمع القبيلة في اليمن، وإذا كانت جُل الثقافة اليمنية يغلب عليها أنها ثقافة شفهية التدوين فإن الزّامل يعتبر المِحبرة والصُحُف التي تُكتب عليها تلك الثقافة، ففي الزّامل نجدُ العادات والتقاليد وقانون العيب والعار والنّكف القبلي، وقيم كالشهامة والجود والكرم والشجاعة والأنفة والرجولة والوفاء بالعهد ونجدة الملهوف وقيم كالسّلم والصلح والتسامح والحرية، وأخرى روحية كالدعاء والتضرع والصلاة على النبي الخ.. وهذا ما قُلنا عنه أن الزّامل مثل السُلطة الحاملة لوعاء العقلية القبلية. وبحسب تعبير الكاتب محمد إبراهيم: "الزّامل محكمة العُرْف القبلي"[16]، وهو في ذات الوقت الثغرة التي يمكن أن تأتي من قبلها القبيلة فيُسلب بالزّامل عقلها وصوتها وهذا ما حصل حينما تحول الزّامل من حيزه الاجتماعي إلى حيز الدعاية السياسية.

صَبغت ثقافة القبيلة معترك الحياة السياسية والصراعات السلطوية؛ ليسجّل المؤرخون عبر الأحداث المتعاقبة في تاريخ اليمن السياسي المعاصر كثيراً من الزّوامل التي صارت جزءاً من التاريخ الشفهي لمجريات ذلك الصراع، وبرأي البردّوني أن "فترة الحروب مع الأتراك كانت لحظة إبداع الزّامل السياسي كبديل للغرض القبلي"[17]، بمعنى أنه انتقل من حيزه الاجتماعي القبلي كمنبر للسان حالها ومقالها إلى فضاء الدعاية السياسية، ممارسة الشّعبية استجد فيها نسق

---

[14] جمال حسن، مرجع سابق، 18 فبراير 2018. http://surl.li/qiyvl

[15] نزار العبادي، مرجع سابق. http://surl.li/qiyuz

[16] محمد إبراهيم، **الزّامل: أشهر أجناس الادب الشّعبي في اليمن** (البحرين: أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، العدد 30، 2015)، ص 65.

[17] عبدالله البردّوني، مرجع السابق، ص 141.

خاص بالصراع السياسي لاستيعاب تعبير الجماعات عن مواقفها، إما بمقاومتها للأحداث أو استجابتها لها، حيث تضمن الزّامل التحريض على السلطات القائمة، أو التعبير عن طاعة القيادة وترهيب الخارجين عليها بعد الاستقلال –ونحن حينما نقول مجتمع القبيلة نعني به ما يقارب 80% من المجتمع اليمني حسب بحوث ودراسات[18].

استمر الزّامل السياسي بعد الاستقلال وكان له دور لافت في المعترك النضالي ضد الملكية في اليمن، فكان جيش الإمام قبل أن يضرب منطقة ما يسبقه الزّامل فيثير الرعب في نفوس خصومه، ومن بين تلك المناطق على سبيل المثال لا الحصر حينما ضرب جيش الإمام منطقة البيضاء فدون الزّامل لتلك الواقعة التي لا مرجع لقصتها سوى هذا الزّامل[19]:

يا درب (ذي ناعم) ويا (حيد السما)	اتخبرك كم جت من القبلة زيود
سبعة وسبعين ألف ذي عديت أنا	من عسكر (الشامي) تناجي يا حيود[20].

فقد دون لنا الزّامل السياسي أيضاً الانقسام المجتمعي أثناء الحرب بين الجمهوريين والملكيين بعد قيام ثورة 26 سبتمبر.. حيث لم تبرح زوامل تلك المرحلة السياسية من تاريخ اليمن المعاصرة ذاكرة المجتمع اليمني حتى اليوم، وظّف الملكيين الزّامل للتحشيد والدفاع عن ملكيتهم وفي المقابل وظّفه الجمهوريون في الدفاع عن ثورتهم، ومن بين تلك الزّوامل التي حشّد بها الملكيين الزّامل المعروف[21]:

(حَيْد) الطيال أعلن	وجوَّب كل نايف في اليمن
ما بانجمهر قط لو	نفنّى من الدنيا خلاص
لو يرجع أمس اليوم	وإلا الشمس تطلع من عدن
والأرض تشعل نار	وأمزان السماء تمطر رصاص[22].

---

[18] عبد الكريم الخطيب، **ظاهرة الاستقرار السياسي في الجمهورية العربية اليمنية 1970-1980**، رسالة ماجستير، (القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 1988)، ص64.

[19] عبدالله البردّوني، مرجع سابق، ص142.

[20] ذي ناعم: احدى المناطق التابعة لمديرية الطفة التابعة لمحافظة البيضاء وسط اليمن، حيد السماء: جبل السماء في مدينة البيضاء، اتخبرك: أسألك، زيود: يسمى أهل منطقة ذمار وصنعاء وما حولها من المناطق بالزيود نسبة إلى المذهب الزيدي. الشامي: محمد عبدالله الشامي قائد الحملة العسكرية، تناجي يا حيود: تنادي يا جبال.

[21] عبدالله البردوني، مرجع سابق، ص 145.

[22] حيد الطيال: جبل شاهق في خولان. ما بانجمهر قط: أي من المستحيل نعلن انضمامنا للنظام الجمهوري. خلاص: نهائياً

فرد عليه أحد الجمهوريين بالزّامل الذي يقول[23]:

سلام منا ألف يا جمهورية	بانفتديها بالجماجم والدماء
اليوم جيناكم نريد التضحية	باننزل (السيد) من أعنان السما

يمكن القول أنه بعد أن استتب الأمر للنظام الجمهوري في الشمال ولاحقًا قيام الوحدة اليمنية ودخول أيديولوجيات سياسية حزبية كالاشتراكية والناصرية والإسلامية والليبرالية ضعفت الطقوس الشّعبية في أداء الزّامل، وهذا بدوره أثر على إنتاج الزّامل كفنّ. ويعزو البردّوني هذا الضعف إلى "ظهور السيارة، فقديما كان الزّامل يعتمد على الصفوف من الرجال التي تنشده وهي تمشي من قرية إلى أخرى، فجاءت السيارة تنقل الناس من مكان إلى آخر، وهي مغلقة وتحمل عدد قليل وهذا يجعل من الصعوبة بمكان ترديد الزّامل واقتصر حضوره على المناسبات والأعراس"[24] الأمر الآخر أن ظهور الأغنية الوطنية التي تتغنى بالوحدة والجهورية والحبيب والطبيعة حدت إلى حد ما من إنتاج الزّامل.

الزّامل الحوثي وهندسة المجتمع

رغم أن الزّامل اليمني ذو امتداد في تاريخ القبيلة اليمنية، إلا أنه لم يشهد حضورًا في الساحة اليمنية كما هو اليوم، فالأحداث الدائرة في البلاد منذ 2011م أعادت إحياءه وبقوة، وأضافت إليه سلطة جديدة مزجت بين ما أسميناه (الوعاء الحامل لقيم القبيلة) وقيم كالجهاد والدفاع عن الدين والوطن، والدفاع عن مشروع جماعة الحوثي أو ما يسمونه بـ(المسيرة القرآنية). أيقض الحوثيون فنّ الزّوامل الشّعبية وحوله إلى فنّ وظيفي في التحشيد للحرب، وأخرجوه من عزلته القبلية إلى فضاء أوسع انتشارا. يهدف تركيز الحوثيون على فنّ الزّامل من خلال توجيه الحوار العام والسيطرة عليه بدلاً من المساهمة فيه، لتشكيل أتباع من مستمعيهم ودفع اليمنيين لحمل السلاح من أجلهم. يحاول الحوثيون غمر الساحة العامة بسرديتهم، مستخدمين ما قلنا عنه ثغرة عقل القبيلي، فمن خلال تلك الثغرة دخلوا بيت (القبيلي) وخاطبوه من خلال التركيبة اللغوية للمفردات والصور الرمزية لقيم الشرف والرجولة التي يمثل الزّامل الحامل والصحف الشفهية التي كتبت عليها تلك القيم، إضافة إلى ذلك أن الزّوامل الحوثية لا تهدف إلى المساهمة في الحوار العام المحلي ولكن إلى تحديده واحتكاره؛ من خلال تعميق أيديولوجيتهم الدينية داخل لغة الزّامل ونشر

---

[23] عبدالله البردوني، مرجع سابق، ص 145.

[24] المرجع السابق ص147-146.

قصائدهم على نطاق واسع، يخلق من خلاله الحوثيون أداة إعلامية مصقولة لتجنيد مزيد من الأتباع.

ليس ذلك فحسب، ظل الزّامل حكرا على القبيلة بوصفه نتاجا قبليا خالصاً، وحينما سيطر الحوثي على صنعاء أعاد إحياء هذا الفنّ بطريقته، أعطى هذا الإحياء رسالة للعقل القبلي الجمعي مفادها أن فكر جماعة الحوثي ليس كما يُقال عنه سلالي ودخيل على المجتمع، بل هو يمني يخاطبهم من خلال ما ألفوه وعرفوه (الزّامل) منبر قيمهم وشرفهم، وها هو ذا الحوثي يستخدم ذات المصطلحات والمسميات التي تربوا وترعرعوا على سماعها والدفاع عنها، وهكذا صور الحوثي للمجتمع اليمني أنه ليس غريبا على بنية المجتمع وهويته.

فطن الحوثيون قبل خصومهم إلى هذا الفنّ فعجنوا البعد الاجتماعي للزّامل بمخزونهم المذهبي السلالي فأعادوا هذا الفنّ الشّعبي إلى الساحة اليمنية بشكل جديد، حيث أصبح الزّامل عصب الجماعة وفنّها القادر على استقطاب مزيد من الأنصار وشحذ هممهم لمقاتلة خصومهم وهو المعوض للأغاني الشّعبية والوطنية التي منعوها حتى في الأعراس، في المناطق التي تحت سيطرتهم، وفرضوا فنّ الزّامل بقوة الترهيب والترغيب.

هندس الحوثيون المجتمع من خلال تطويع هذا الفنّ الشّعبي خدمة لهم، حتى أصبح للزّامل دوراً محورياً في إذكاء "حمّية" القبيلة في سبيل خدمة مشاريعهم. وفي هذا السياق ترى الباحثة الامريكية "إميلي سومنر" أنه إلى جانب ترسانة الحوثيين من الصواريخ البالستية والطائرات المسيرة والوسائل الإعلامية التي تروج لأفكارهم، يملكون "وحدة الإنتاج الفنّي" التابعة للإعلام الحربي والمسؤولة عن إنتاج هذه الزّوامل، تضيف "سومنر" في دراستها بعنون: "الزّامل الحوثي: أدب شعبي أم دعاية": أن الحوثيين استفادوا من تقنيات المونتاج الصوتي لإعادة إنتاج الزّامل بطرق مبتكرة، فقد وظفوا التكنولوجيا للتّلاعب بالأصوات وإضافة تأثيرات صوتية، مما يشبه ما يُوجد في الشيلات والأناشيد الدينية، وقد أدى ذلك إلى تحويل الزّامل إلى مقاطع صوتية معالجة إلكترونيًا، وتم تضمينها في مواقع التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت. هذا النوع من التعديلات يُظهر كيفية استخدام التكنولوجيا لتعزيز الرسائل الثقافية والسياسية، وتوجيهها للجمهور بطريقة تجعلها تبدو أكثر جاذبية وتأثيرًا، علاوة على ذلك، تنتشر الزّوامل الحوثية بسرعة على وسائل

التواصل الاجتماعي، وتظهر ردود الفعل على مواقع مثل يوتيوب أن لها مقدرة في اليمن وخارجه[25].

في دراستها سالفة الذكر تقول "إميلي": – ودراستها تعد ذو أهمية في مجالها . أنه "بينما كانت الزّوامل أثناء الحرب التي أعقبت ثورة 26 سبتمبر بين الملكيين والجمهوريين، تصور الإمامة في سياق الظلم والتخلف، والجمهورية تمثل التطور والحداثة، فإن الزّامل الحوثي يقدم الحوثية في صورة رجل شريف، والآخر مرتزقاً، والشرف برأي إميلي قيمة قبلية ضاربة في المجتمع القبلي"[26]، ولهذا يحفزها الحوثي ويحركها ويخاطبها ويركز عليها. وفي تفريقها بين الزّامل الشّعبي والحوثي، تضيف أنه على عكس الزّوامل الشّعبية تحتوي الزّوامل الحوثية على مزيد من الأبيات، وتنتج بأدوات إلكترونية تدمج لحنًا بألحان أخرى من الشعر. علاوة على ذلك، أن الحوثيين يحولون نواة رسالة الشعر لتتمحور حول أيديولوجيتهم الدينية. بدوره يرى الشاعر والكاتب اليمني "عامر السعيدي"، أن "القبيلة والزّامل كانا من قديم الزمن توأمان لأمهما الأرض"، مضيفاً أن الحوثيين "أدركوا هذا مبكراً واستغلوا هذا النوع من الفنّ لاستنفار وحشد الناس ولترويض حميتهم ونخوتهم ."ويتابع "السعيدي" أن الحوثيين "استغلوا موروث الشعب اليمني"، لافتاً إلى أن "الحوثي تفوق فنّيا حيث وقد أعاد للقبيلة صوتها المخنوق وأثار حماسها بعد ان أيقظ الزّوامل الشّعبية من سباتها ورد لها الاعتبار وإن كان بشكل سلبي ونقيض لقيم الانسانية والوعي المجتمعي"[(27)].

---

(25)Abdullah Hamidaddin and others, **The Huthi Movement in Yemen: Ideology, Ambition and Security in the Arab Gulf** (London: Bloomsbury Publishing, 2022) .P 178.P 159. P 182.

(26) Ibid. P 182.

(27) علي عويضه، **حرب الفن بين المقاومة الشّعبية والحوثيين في اليمن** (مأرب: وكالة الأناضول، تقرير غير منشور).



خلاصات واستنتاجات.

ختامًا، تخلص هذه المقالة إلى التالي:

1. أن الزّامل الشّعبي، وليد الحياة الاجتماعية والتضاريس والبيئة والجغرافيا اليمنية، انتقل من الأهازيج الزراعية إلى المناسبات والاحتفالات الاجتماعية وصولاً إلى طوره السياسي أثناء التواجد التركي في اليمن ولاحقا الحرب بين الجمهوريين والملكيين بعد ثورة 26 سبتمبر.
2. أن الزّامل اليمني فنّ شعبي يعكس الهوية الثقافية الأصيلة، ويعتبر جزءًا من التقاليد الشعبية والثقافة الشفهية اليمنية التي يجب تحييدها وعدم عسكرتها وأدلجتها بقيم دخيلة على بنية المجتمع بهدف السيطرة على الخطاب العام وتوجيهه.
3. أن الزّامل بوصفه القالب الذهني لمسرح العقل القبلي، يختلف اختلافا كلياً عن الزّامل الذي تنتجه استوديوهات المونتاج، فالأول ينشر الحوار العام ويعزز القيم المجتمعية، بينما النوع الثاني جاء ليعسكر القبيلة باسم قيمها في سبيل خدمة مشاريع القتل والتدمير وتفكيك بُنية المجتمع اليمني.
4. أن الزَّامل بكونه فنًا يمارس سلطته في العقل الجمعي القبلي، كونه يكتنز الدلالات والألفاظ والصور التي تحرك حس النّخوة والرجولة في الذهن والمخيال القبلي الحامل لقيم الشجاعة والشرف، والكرم، والبسالة، والتضحية.
5. أن الحوثيين بتخصيصهم وحدة خاصة "بإنتاج الزّوامل" أخرجوه من حيزه الاجتماعي إلى حيز الدعاية العسكرية، مما أسهم في عسكرة المجتمع وانقسامه على نفسه وعسكرة الموروث الثقافي والحياة الاجتماعية، على حساب الأغنية الوطنية والشّعبية وقيم الاندماج الاجتماعي.



قائمة المراجع والمصادر.

- أحمد الشامي، **قصة الادب في اليمن**، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ط1، 2007)
- الجاحظ، **البيان والتّبيين**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي – مطبعة المدني، 1998).
- جمال حسن، زوامل الحوثيين في الحرب: أول المعركة وآخرها، العربي الجديد، موقع الكتروني، 18 فبراير 2018. http://surl.li/qiyvl
- صالح الحارثي، **الزّامل في الحرب والمناسبات** (صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة، 2004).
- عائد عميرة، الزّامل اليمني ...فنّ الحرب والسلم، نون بوست، موقع الكتروني، 5 نوفمبر 2019. https://www.noonpost.com/34764/
- عبدالله البردّوني، **أقوال علي بن زايد دراسة ونصوص**، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، 2006).
- عبدالله البردّوني، **الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل يمنية**، (صنعاء: مؤسسة العفيف الثقافية، 1996).
- عبدالله البردّوني، **فنّون الأدب الشعبي في اليمن**، (بيروت: دار البارودي، ط5، 1998).
- عبده منصور المحمودي، الزّامل ورقصة الحرب في اليمن، السفير العربي، موقع الكتروني، العدد 587، 31 يناير 2024. http://surl.li/qiyrx
- علي عويضه، حرب الفنّ بين المقاومة الشّعبية والحوثيين في اليمن (مأرب: وكالة الأناضول، تقرير غير منشور).
- محمد إبراهيم، **الزّامل: أشهر أجناس الادب الشّعبي في اليمن** (البحرين: أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، العدد 30، 2015).
- نزار العبادي، الزّوامل: دُرر الزمن من فنّون اليمن، المؤتمر نت، موقع الكتروني، 5 فبراير 2005. http://surl.li/qiyuz
- هانز هولفريتز، **اليمن من الباب الخلفي**، ترجمة: خيري حمَّاد، (بيروت: دار العودة، 1986).
- وليم بن الورد، **مجموع أشعار العرب الأصمعيات ديوان رؤبة بن العجاج**، (الكويت: دار ابن قتيبة، ج1، 1903).

– Abdullah Hamidaddin and others, The Huthi Movement in Yemen: Ideology, Ambition and Security in the Arab Gulf (London: Bloomsbury Publishing, 2022).

– Charles Schmitz, Understanding the Role of Tribes in Yemen (West Point: Combating Terrorism Center, vol 4, Issue 10, 2011)

مقال الشهر، هو نافذة من نـوافــذ النشر في المركز المدني، وهـي مقالات مركزة في موضوعات اجتماعيـة مهمة، إما أن تكون متصلـة بقضية اجتماعية متصلة بالواقع، أو تـكــون قضـيـة ملهمة تلـهـم الباحثين والمهتمين بمزيد بحث ونظرٍ فيها، وتكون ملتزمة بالتقاليـد العلمية في الكتابة، ولا تزيد كلماتها عن (3000) كلمـة، ولا تقل عن (800) كلمة، ويجـب أن تشتمـل بنيـة المقالة البحثية على العناصر التالية: مقدمة بمثابة التمهيد للمقالـة، ومـن ثم تقسيم متنها في عناصر متسلسلة، ثم الخاتمة، وقائمة المراجع.

ونحــن إذ نـؤكــد على أهمـيـة البحث الاجتماعــي، وأهميـة العين السيسولوجية الفاحصة لظواهــر المجتمع، ندعــو الباحثين للكتابة في كل قوالب وقنوات النشر الخاصة بالمركـز، ونـؤكـد على اهتـمـام المركز وحرصه على أي جهد بحثي يمكن أن يسهـم في سبيل توطين البحوث الاجتماعية وموائمة البنى النظرية للخصوصية الاجتماعية المحلية.



